

الفصل الخامس عشر

وفي المشفى؛ ما زال آدم في الغرفة المجهزة تلك، وحالته آخذة في التحسن.. إلا أن التحسنات خارجية فقط.. ففمه وأنفه مازالا كما هما إلا قليلاً.. ولا أحد يعلم حقاً ما هو سبب التحسنات التي فاجأت الجميع!!

بدأ آدم يفيق.. وانتبه من غيبوبته التي كان فيها؛ على عطشٍ شديد.. من شدته أنه لم ينتبه بما طرأ على جسده من تحسنات.. فقام بنزع أنبوب التنفس عنه واستطاع التنفس بدونه ولكن بصعوبة.. ثم أخذ ينتصب واقفاً على قدميه؛ فكاد أن يقع لولا أن تماسك بالسرير الذي كان نائماً عليه.. ثم حاول أن ينتصب من دون أن يقع؛ حيث لم يقف منذ زمنٍ بعيد.. ثم بدأ يبحث عن شيء أو مكان يشرب منه؛ فلم يجد.. فخرج يبحث فوجد مرحاضاً؛ فدخله.. وابتدر حوض المياه وأخذ يشرب ببطء على عطشه الشديد.. أخذ يشرب ببطء لأن ما في فمه يمنعه.. فشرب حتى ارتوى؛ إلا أنه ما من ارتواء خالص من دون الشعور بالغثيان في حالات المرض! أخذ آدم ينظر إلى المرأة ويتعجب على ما حلَّ به من العذاب! وكيف أنه هو من أوصل نفسه إلى ذلك! أخذ ينظر إلى المرأة ثم سلَّم رأسه تحت المياه المتدفقة.. وبعد هنيهة؛ بدأ عدم تحمله للإرتواء يحل.. فشعر بغثيان مع بدءه في السعال.. وكل ذلك أفقده التوازن؛ فجثا على ركبتيه وما زال يسعل وكانت أشياء تُقذف من فمه مع سُعاله وكأنها قطع ممَّا في فمه من تكتلات وتقرحات.. ثم بدأ سعاله يهدأ إلى أن بدأ في التقيء بشدة حتى فقد وعيه.

تمر فترة من الزمن؛ ويفيق آدم على حالٍ غير الحال.. فتتنفسه شبه عادي.. وشعور بقوة تسري في جسده.. ثم انتبه على قول أحدهم:

_ الحمد لله الذي شفاك وأذهب عنك الضرَّ إن ربك لسميع الدعاء وإنه لقريب مجيب.

نظر فإذا هو المحترم إسحق بوجهه النضر.. فتبسم المحترم إليه؛ غير أن آثار الحزن علي وجهه.. ثم أخذت عيناه تمتلئ بالدموع.. تمتلئ بالدموع بسبب رحمة الله لآدم، وموت الفتى المُحِبِّ إبراهيم وانتقاله إلى رفقة ربِّه.. كل ذلك خيَّم على المحترم وبسببه امتلأت عيناه بالدموع.. ويظهر أن اشتياقه لربِّه قد بلغ أشده.. وبعد وهلة قال:

_ يا آدم! تدعو ورأيتي بما سأقول.. إن شاء الله.

فقال آدم:

_ إن شاء الله أيها المحترم.

فقال المحترم داعياً:

_ ”سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب!

اللهم أتمم علي رحمتك وعفوك.. واجعلني آية لمن ورأيتي! وأعوذ بك أن آمن مكرك بأن أظن بأنه سيتم شفائي مهما كان ما وصلت إليه من تقدمي في الشفاء؛ لأنني لا أملك من الأمر شيئاً.. فالأمر كله يرجع إليك ولا يتم إلا بمشيئتك.. يا من ترى ولا تُرى فتُدركه الأبصار.. إلا أنك ترى كل شيء وتُدرك كل بصر أيها العزيز القادر!

يا رب! ما من شيء في السموات وفي الأرض إلا ويحدث بحكمة بالغة.. يحدث بحكمة بالغة حتى يُظن أنه لا دخل لأحد في إحداث ما حدث.. إلا أنه ما من أمرٍ كان إلا لما قلت له كُن، إنك أنت العزيز الحكيم.. أتمم علي رحمتك وعفوك واجعلني آية منك إنك على كل شيء قدير.. آمين!“

أعطى يوسفَ لآدم شيئاً وقال:

_ هذا بيان كتبه المحترم.. وقال أن نعطيكَ إذا ما شفاكَ الله لتقرأه.

نظر آدم إلى المحترم؛ فقال المحترم له:

_ إذا شئت فاقرأه الآن.

فنظر آدم إلى البيان وأخذ يقرأ.. ونظر المحترم من النافذة.. وبينما يوسف خارجاً من الغرفة؛

لقي دانيال وإلياس خارجها؛ فسلما عليه قائلين:

_ مرحباً يوسف.. كيف هي الأخبار؟

فقال يوسف:

_ مرحباً إلياس.. مرحباً دانيال! الأخبار بخير والحمد لله.. وآدم يقرأ الآن البيان الذي قال

المحترم بأن نعطيه له.. وأشار بيده إلى داخل الغرفة مشيراً إلى آدم؛ فتفاجئاً.. فقال إلياس:

_ ما شاء الله.. لقد تغير شكله!

وقال دانيال:

_ ما شاء الله.. لقد شُفي!

فقال إِيّاس:

_ شفاه الله!

فقال دانيال منصاعاً:

_ آمنت بالله..

استئذنها يوسف في الذهاب لقضاء حاجة.. ورأى دانيال وإيّاس أن ينتظرا قليلاً حتى يفرغ

آدم من قراءة البيان.. ولمّا بدا أنه انتهى؛ دخلا وسلاما عليه قائلين:

_ الحمد لله أن شفاك آدم..

فرّد آدم قائلاً:

_ أهلاً إِيّاس.. كيف هي حالك؟

فقال إِيّاس:

_ الحمد لله بخير.. وهذا صاحبي دانيال، وهو من أصدقاء المحترم إسحق.. وأشار مبتسماً

ناحية المحترم.

فابتدر آدم بالسلام وقال:

_ تشرّفنا دانيال.. وشكراً جزيلاً على زيارتك.

قال دانيال:

_ الحمد لله على سلامتك وشفائك.

ثم جلسا إلى جانب المحترم بعد أن صافحاه. وبعد قليل دخل يوسف ومعه الطبيب يحيى..
وما إن رأى يحيى آدم؛ حتى قال له مماًزحاً:

_ الحمد لله على السلامة.. ما كل هذه الغيبة والنميمة.. أين كنت يا رجل؟ _ فتبسم آدم
والجالسون ونظر يحيى إليهم وقال:

_ مرحباً إلياس.. مرحباً دانيال.. أيها المحترم! هل علمت أن الله جعل من شربه للماء شفاءً
له؟

قال المحترم:

_ إن الله إذا أراد شيئاً؛ فلا أحد يعلم جُنده إلا هو.

قال يوسف:

_ أيها المحترم! لقد تحدثت إلى يحيى بشأن ما ذكرته في البيان الذي كتبتة.. من حيث أن كل ما
في الأمر عند الأحباب هو هيجان وألم في مكان حساس يهيج فيأتي الشيطان اللعين عليه
_ لعنه الله _ ويُلْبِس أمرهم عليهم، ويُزِين لهم انقضاء الألم والهيجان؛ في الاستمتاع بفعل
الفاحشة واللواط..

بدا على آدم الخجل؛ فجعل ينظر بين يديه.. ثم أكمل يوسف قائلاً:

_وقد رأيت أيها المحترم؛ أنه ما دام الأمر كذلك؛ وجب أن نعرض الفكرة على إحدى شركات الأدوية.. فتصنع دواءً يُزيل ويُسكِّن هذا الألم والهيجان.. وإني قد أشركت في هذا الأمر الطيب يجيى.

قال المحترم:

_ إن شئت فافعل؛ وإلا فالصبر خير كثير للأحباب.. واعلم أن هيجانهم هذا ليس بشيء.. وأنه يأتي أصلاً لأفحل الفحول؛ ولكنه يأخذ في الحسبان عند الأحباب.. ثم هو في الأصل؛ لحظات معدودات ويذهب بعيداً جداً عنهم.. وهكذا حتى يزول إلى الأبد.. وليستعن الأحباب بالله وليصبروا قليلاً حتى يذهب عنهم هذا الهيجان والألم.. وليعلموا أنهم أقوى بكثير جداً من هذا الهيجان وذاك الألم.. وعندهم قدرة غريبة في التحمل.. فقط ليستعينوا بالله وليصبروا!

قال يوسف:

_ إذاً لا أفعل؟

فقال المحترم مبتسماً:

_ إن شئت فافعل؛ وإلا فالصبر خير كثير للأحباب.. واعلم أن الله أرحم بعبده من الأم بولدها.. وهو أعلم بكل واحد منا.. وأرحم بنا من أي أحدٍ آخر.. وكل ألمٍ أو مرضٍ أو ضيقٍ مهما صَغُر؛ إن صبرت عليه؛ فما هو إلا طهور وتطهير من الذنوب وتكفير عنها.

فقال يوسف مبتسماً:

_ إذاً أفعل!

فتبسم المحترم وأخذ يضحك.. فهو يعلم مدى حرص يوسف على استجابة ورجوع الأحاباب واتباعهم الهدى والرشاد والتوقف عن أي فعلٍ ذميم فاحش.. قال المحترم وما زال يضحك:

_ إذاً.. لعله خير أيها الحبيب.

سكت المحترم وعاودته حالة الحزن وعدم قدرته على المزيد من الكلام.. ولم يستطع أن يتحمل مزيداً من الجلوس والمُكث أيضاً.. ثم لاحظ أن الرجال يتكلمون عن الروضة وعن كيفية ومكان إنشائها، وعن آلية وطريقة العمل فيها.. فلم يستطع أن يُشاركهم بشيء.. غير أنه استئذّنهم في الذهاب؛ فقالوا له متفاجئين:

_ إلى أين تذهب أيها المحترم.. هل أنت بخير؟!!

فقال المحترم بلطفاً:

_ أنا بخيرٍ والحمد لله.. ولكنني أشعر برغبة في الرجوع إلى البيت.. ولا داعي لأن يوصلني أحد منكم.. فكما أنتم!

فلما رَوّأ أنه لا إرادة له في أن يوصله أحد؛ قالوا له:

_ إذاً سنأتيك الليلة.

فقال المحترم لهم:

_ قولوا إن شاء الله!

فقالوا:

_ إن شاء الله.

ثم قال لهم وكأنها كلمات الوداع والنصح الأخيرة:

_ اعلّموا أيها الرجال!

اعلموا أنه ما من شيء حدث أو يحدث؛ إلا بمشيئة الله.. فلا تُقدموا على قول إنكم ستفعلون شيء آتٍ وقادم دون أن تقولوا إن شاء الله.. والله يحبكم ويأمركم أن تقولوا إن شاء الله؛ فأعلموا الله أنكم تعلمون ذلك وتؤمنون به وتحبونه بقولكم.. واعلموا أنه ما من أحدٍ أحب إليه المدح من الله.. فإنه يحب أن يُمدح.. وهو قد مدح نفسه كثيراً في كتبه التي أنزلها على الناس.

* * *